

البعثات التبشيرية البروتستانتية ودورها الثقافي في جبل لبنان (١٨٣١-١٨٦١)

باهرة عادل هادي الجبوري

أ.م.د نادية كاظم محمد العبودي

البعثات التبشيرية البروتستانتية ودورها الثقافي في جبل لبنان (١٨٣١-١٨٦١)

باهرة عادل هادي الجبوري
أ.م.د نادية كاظم محمد العبودي

المقدمة :

تؤلف دراسة البعثات التبشيرية البروتستانتية للوطن العربي حلقة اساسية في سلسلة الجهود المبذولة عند كتابة التاريخ ، وفي اطار دراسة تاريخ لبنان الحديث ، ولها بصمات واضحة وملموسة في سير الأحداث ، ولاسيما في الجانب التعليمي في جبل لبنان .

بدأت البعثات التبشيرية البروتستانتية تتقاطر الى جميع المقاطعات اللبنانية التي تشكل ما كان يسمى بجبل لبنان في مفهوم الدولة الحديثة ، وقد ساعد الامراء اللبنانيون في اعطاء تلك البعثات الفرصة الكافية لان تؤدي دورها في لبنان ، وان تؤثر في واقع التعليم وفي مقدمة هؤلاء الامراء اولئك الامراء فخر الدين المعني الثاني ، الذي دعمها بكل ما اوتي من قوة ، والامير بشير الشهابي الثاني الذي شجع البعثات التبشيرية الى الوفود والمجيء الى جبل لبنان ، فضلاً عن عقد اتفاقية عام ١٨٣٠ بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة المتمثلة بالبعثات البروتستانتية التي شجعت على دخول جبل لبنان .

ونتيجة لتلك الاتفاقية تمكنت البعثات البروتستانتية من ارسال بعثاتها التبشيرية الى المنطقة واقامة المدارس والجمعيات والمؤسسات العلمية وتأسيس المطابع ، ولاسيما المطبعة الامريكية عام ١٨٣٤ التي أثرت في واقع التعليم في جبل لبنان .

البعثات التبشيرية البروتستانتية ودورها الثقافي في جبل لبنان (١٨٣١-١٨٦١)

مّثل جبل لبنان نقطة بارزة ومهمة في النشاط التبشيري، كان بمثابة التربة الخصبة التي عرف المبشرون كيفية استثمارها، ولاسيما انها خضعت للسيطرة العثمانية فترة طويلة من الزمن امتدت لأربعة قرون تقريباً، شكل فيها (نظام الملك والامتيازات)[١] منفذاً رئيسياً في انجاح هذه المهمة التي جُنّد الكثير من المبشرون لتنفيذها[٢].

وكان سبب توجه البعثات التبشيرية الاجنبية الى الشرق بصورة عامة والى جبل لبنان بصورة خاصة، هو فشل الحروب الصليبية، فحاولت دول أوربا بعدما فشلت في تلك الحروب ان تثير حرباً صليبية من نوع آخر ضد الاسلام لم تعتمد فيه على السيف وانما اعتمدت على التبشير في البلاد العربية. فأنتشر المبشرين في شتى انحاء العالم العربي والاسلامي لتحقيق أهدافهم السياسية ومطامعهم الاقتصادية، وسارعت الارساليات الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية الى الشرق طمعاً في كسب أكبر عدد ممكن من الاشخاص لأهداف لم تكن دائماً دينية محضة، بل دوافع متعددة[٣].

وعلى نحو ذلك بدأت الإرساليات التبشيرية تنفذ الى جميع المقاطعات اللبنانية بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر، وقد ساعدها الأمراء اللبنانيون من اجل الاستفادة منها، وغرس الثقة والطمأنينة في نفوس رعاياهم المسيحيين. كذلك من أجل فتح باب التعاون مع الغرب، وفي مقدمة أولئك الأمراء فخر الدين المعني الثاني، ففي عهده اتخذت أحدى هذه الإرساليات من مدينة الناصرة مقراً لها، وأخذ يبذل المال على اعضاءها، كما أوصى سكان المنطقة بتلك الإرساليات. وبعد وفاة فخر الدين الثاني طُرد الكبوشيون من لبنان، وذلك لدعوتهم بعض العناصر غير المسيحية الى اعتناق الدين المسيحي، مما أدى الى حلول اليسوعيين محلهم، فأخذوا يتابعون الجديد من أعمالهم[٤].

والى جانب ذلك توسع نطاق الامتيازات الاجنبية الى حد كبير في غضون القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث فرضت هذه الامتيازات على (الملل العثمانية)[٥] التي اعتبرتها الدول الأوربية أقليات دينية او من رعاياها، فطالبت بالامتيازات والحماية للتجار المحليين من غير المسلمين المتعاملين مع التجار الأجانب، فكثر التدخل الاجنبي بواسطة المتآمنين والقناصل، بحيث سمح للمبشرين بدخول منطقة الشوف وإقامة أديرة لهم[٦].

ونتيجة لتلك الامتيازات الاجنبية التي حصل عليها الأوربيون من الدولة العثمانية، تمكنت الارساليات التبشيرية الاجنبية من النفاذ الى داخل البلدان والمناطق التي حلت فيها، وصارت تمارس أدواراً ثقافية عامة، لا عهد لهذه البلدان بها، وقد شكلت هذه الأدوار أعمالاً وعلاقات مع السكان، كانت بمثابة ملامح أولية للتحديث الى أن اصبحت بالاستمرار من عوامل التحديث والتجديد على كافة الأصعدة الاجتماعية والثقافية والتربوية[٧].

والى جانب ذلك تمثلت البعثات التبشيرية البروتستانتية بالإنكليز والأمريكيين، حيث أنهم سبقوا اليسوعيين الى الشرق الأدنى[٨]، لاسيما بلاد الشام الذي اتخذوه منطلقاً لأعمالهم التبشيرية[٩]. وتشجعت الولايات المتحدة الامريكية بعد توقيعها معاهدة عام ١٨٣٠[١٠] على إرسال بعثات تبشيرية الى الولايات العثمانية التي كانت تقدم خدماتها بصورة انسانية بعيدة عن صورة المبشر الذي يعظ الناس لترك دينهم ومذهبهم[١١].

ويعتبر عام ١٨٣٢ بداية التعليم الابتدائي الامريكي في بلاد الشام، ففيه أفتتحت مدرسة في بيروت بدأت بتلميذين، ومدرسة اخرى بالقرب من صيدا، وثالثة كانت تحت التجربة بالقرب من طرابلس وكان بها عشرة تلاميذ. وقوبلت هذه المدارس بمقاومة عنيفة من قبل الأكليروس الوطني. إلا انه في عام ١٨٣٤ أصبحت لدى المبشرين الأمريكيين ستة مدارس. وفي الوقت نفسه بدأ الاهتمام بتعليم البنات، فتأسست المدرسة الأولى لتعليم البنات في بيروت وهي مدرسة داخلية كان يتم فيها تعلم مبادئ الحساب والكتاب المقدس. بلغ عدد الطالبات اللاتي تعلمن في هذه المدرسة خلال ستة أشهر مائة طالبة، وهو

عدد كبير قياساً بتلك المدة، وهذا يدل على بداية تغيير وجهات النظر الخاصة بتعليم الفتيات وبالتعليم وجدواه[١٢].

وابتداءً من العام ذاته بدأ النشاط الفعلي للبعثات البروتستانتية في بلاد الشام، حيث تم تأسيس كنيسة صغيرة في بيروت، انضم إليها أربعة من الوطنيين اللبنانيين. وبدأت البعثات بالتركيز الشديد على الطباعة والتعليم لأستخدامها كأهم ادوات التبشير الأمريكي، ولمحاولة ضم الاتباع عن طريقهما[١٣].

أتخذ البروتستانت المطابع وسيلة جديدة للنفاذ الى تلك المنطقة، فأتخذوا جزيرة مالطة قاعدة لنشاطهم في الشرق الأدنى، إذ قرر مجلس الإرسالية في الولايات المتحدة الأمريكية أتخاذ تلك الجزيرة محطة تعنى بنشر وطبع الكتب والكراريس التي تبشر بدين المسيح حسب المذهب الانجيلي. واهتم المبشرون في بادئ الأمر بترجمة نشرات التبشير المكتوبة باللغة الانكليزية الى اللغات العربية واليونانية والإيطالية والتركية وإرسالها الى سائر بلدان المنطقة. ولما بدأت أعمال أولئك المرسلين تثمر نقلوا المطبعة الى بيروت في العام ذاته، وجهزت المطبعة بأدوات خشبية للكبس والتجليد، وطبعت كتابين أمثال (لقمان الحكيم) و(نخب الملح)، وهكذا تمكنت البعثات البروتستانتية من بث الأفكار الدينية التي تريدها[١٤].

والى جانب ذلك أدخلت المطبعة تعديلات على نوعية المؤلفات وكميتها المطبوعة، وغيرت من نظرة الناس الى دور مؤسسة الطباعة، وجعلتهم يدركون قيمتها في بناء الحركة الفكرية والنهضة العربية الحديثة، إذ أكثرت من طبع الكتب المدرسية والمؤلفات العلمية التي استقى من ينابيعها كُتاب النهضة الحديثة ومفكروها. الى جانب مساهمتها في مساعدة المؤسسات الأهلية على اقتناء المطابع واستكمال المعدات وتدريب العمال على معرفة أصول العمل الطباعي[١٥].

وعلى الرغم من توقف المطبعة اثناء الحرب المصرية – العثمانية من جهة، والدول الأوربية من جهة أخرى عام ١٨٤٠[١٦]، ألا أنها استطاعت في الأعوام اللاحقة أن تعوض ما فاتها وتطبع عشرات الآلاف من الكتب الأدبية والعلمية المترجمة والمؤلفة، والكتب اللازمة للتبشير[١٧].

تميز عمل المرسلين البروتستانت في تلك المدة بمراعاة الأوضاع المحلية، فقد عمد المرسلون الأمريكيون، وفي طليعتهم الدكتور عالي سميث High Smith، والدكتور وليم طومسون William Tomson، والدكتور كرنيليوس فانديك (Cornelius Vandek)، الى جانب اضطلاعهم بالتبشير الى توسيع أفق التعليم وتنسيق مواده، بحيث اخذ يتفق مع الأوضاع المحلية وحاجات الأهالي، فأقبلوا أولاً على تعليم اللغة العربية، ثم عمدوا في العام ذاته الى تأليف الكتب المدرسية، فاستخدموها في نشر ما ألفوه وما ترجموه[١٨].

وفي العام ذاته ايضاً تم تأسيس أول مدرسة لتعليم البنات في بيروت من قبل زوجة المرسل الامريكي عالي سميث. وأقيمت في احدى غرف الارسالية. كما افتتحت مدرسة اخرى للبنات الدرزيات في

جبل لبنان، فطمحت الى ان تصبح مع مرور الزمن مؤسسة لتخريج المعلمين والمبشرين. وكانت هناك خمس مدارس للصبيان تدرس بنحو ثلاثمائة تلميذ، كانت قد انشأت حتى ذلك الوقت في بيروت وجبل لبنان، لكن نشاط هذه المدارس توقف في عام ١٨٤٠ بسبب الاضطرابات[١٩] التي وقعت في ذلك العام التي أسفرت عن طرد إبراهيم باشا من بلاد الشام، وما أن انتهت تلك الاضطرابات حتى سارع المرسلون في العودة الى مراكزهم[٢٠].

ونتيجة لما سبق استأنفت المدرسة الداخلية للصبيان عملها في خريف من العام ذاته، فقام بالتدريس فيها معلم واسع الثقافة من كلية البطريرك ذاتها في عين ورقة، وكان هذا المعلم بطرس البستاني الذي ذاع صيته فيما بعد[٢١].

ومن بيروت وطرابلس وصيدا حيث المراكز التبشيرية والتعليمية الأولى، بدأ الاهتمام يوجه الى جبل لبنان، حيث القرى الدرزية البعيدة عن الخدمات والمحرومة من التعليم بشكل أساسي، فقد أسست السيدة الأمريكية دوج MS.Dogg مدرسة صغيرة للبنات عام ١٨٣٥، كانت مخصصة أساساً للدروز، وكان يحضر إليها خمسة عشر فتاة [٢٢].

وفي عام ١٨٤٢ تم تأسيس الجمعية الاستشراقية الأمريكية لمساعدة النشاط التبشيري، وخلال قرابة عشر سنوات كان للجمعية نحو ثلاثين مطبعة تصدر نشراتها بعدة لغات، وقد قام مشايخ الموحدون أمثال آل تلحوق من عبية، وآل جنبلاط في الشوف، بدعوة المبشرين الانجيليين (البروتستانت) الى إقامة المدارس في مناطقهم، ومن هنا عزا قنصل روسيا في بيروت قسطنطين بتكوفيتش ظهور البروتستانت في جبل لبنان الى البعثات التبشيرية الأمريكية والبريطانية التي تمكنت من التغلغل عن طريق المدارس وتوزيع المساعدات المالية[٢٣].

وفي عام ١٨٤٣ افتتحت الارسالية الامريكية مركزاً تعليمياً لها في عبية، حيث انشأت مدرسة جديدة بلغ عدد طلابها خمسون، ومعلمها ماروني، وسرعان ما نمت هذه المدرسة، فأصبحت من أهم المعاهد الانجيلية في البلاد لتدريب الطلاب على التبشير بالانجيل. وفي العشرين من أيار ١٨٤٥ أفتتحت مدرسة للأطفال في حاصبيا بدأت بثلاثين تلميذاً ثم ازدادت لأكثر من أربعين تلميذاً[٢٤].

وكان أبرز عمل قام به المبشرون الامريكيون البروتستانت، هو ترجمة الكتاب المقدس (التوراة) عام ١٨٤٩ بمعاونة المعلم بطرس البستاني، الذي واصل العمل بترجمته حتى وفاته عام ١٨٥٧، ثم استأنف الترجمة الدكتور فانديك بمساعدة ناصيف اليازجي حتى انجزها عام ١٨٦٤، ثم طبعها بعد ذلك بأربع سنوات[٢٥].

ولما كانت نشاطات الإرساليات الاجنبية قد اتسعت لتشمل ميادين الجمعيات العلمية والأدبية، والطباعية، فقد أصدر المرسلون الامريكيون في مطلع عام ١٨٥١ مجلة أطلق عليها (مجموعة فوائد) طبعت في مطبعة بيروت، كانت هذه المجلة باكورة كل المجالات التي ظهرت باللغة العربية، واقدمها

عهداً على الاطلاق، وكانت مباحثها تدور حول الشؤون الدينية والعلمية والتاريخية والجغرافية وسواها، وقد احتجبت بعد اربع سنوات من اصدارها[٢٦].

والى جانب ذلك أسس المرسلون الأمريكيون عدة مدارس أخرى عام ١٨٥٣ في قريتي كرمول وتبانز، وبتخينة عام ١٨٥٤. والملفت للنظر ان تلك المدة شهدت ظهور مجموعة من المدارس الوطنية الشامية المرتبطة بالإرسالية الأمريكية، ففي خريف عام ١٨٥٥ استطاع إلياس الصليبي الذي تلقى تعليمه في مدرسة عبية أن يجمع تبرعات من انكلترا، فانشأ بعض المدارس، وتكونت لجنة للإشراف عليها ضمت قنصل الولايات المتحدة الامريكية، ومندوب عن الإرسالية الأمريكية، وبفضل هذا التعاون بين المبشرين الأمريكيين وبين مؤسسي المدارس الوطنية اللبنانية أصبح التعليم الابتدائي لأول مرة في تاريخ الشام متاحاً للجميع[٢٧].

وعلى نحو ذلك دعا آل تلحوق الدروز سليمان الصليبي لتأسيس عدد من المدارس بمساعدة البعثات الامريكية، فتم انشاء مدرسة في عالية في قرى الغرب عام ١٨٥٦، وعينتاب عام ١٨٥٨، وبشامبون عام ١٨٥٩، ورأس المتن عام ١٨٦١، وما ان جاء عام ١٨٦٠ حتى كان المرسلون البروتستانت قد أسسوا ثلاثاً وثلاثون مدرسة تضم نحو مئة تلميذ[٢٨].

هكذا اهتم المبشرون الامريكيون بنشر التعليم الابتدائي في المدن والقرى الشامية، وخصوصاً في القرى الجبلية المحرومة من التعليم، وذلك لعدة اهداف لعل اهمها ان هذا النوع من التعليم غير مكلف، وهو ما يساعدهم في عملهم التبشيري[٢٩].

وانطلاقاً من ذلك كان لابد للسكان من أن يتأثروا بالمنهج الغربي، فلم يكن مثقفو بلاد الشام بمعزل عن نشاطاتهم، لذلك فقد هبَّ هؤلاء، وبتشجيع من بعض المرسلين الاجانب لإنشاء جمعيات وطنية، وكانت أولى هذه الجمعيات هي الجمعية السورية[٣٠]، التي انشأت بسعي المرسلين الامريكيين عام ١٨٥٨ باسم (جمعية الأدب والعلوم) بهدف نشر العلوم وتنشيط الأدب والفنون. وكان من أبرز اعضائها المؤسسين عدداً من الأدباء جميعهم من المسيحيين أمثال: ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني، وكان لها جهود واضحة في إحياء التراث العربي، ونشر العلوم بين العرب، وتعد أولى الجمعيات ليس في بلاد الشام فحسب، بل في العالم العربي[٣١].

هكذا أصبح الشرق الأدنى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مسرحاً للجمعيات التبشيرية لمختلف الدول الغربية، وقد وجهت الولايات المتحدة الامريكية تلك الارساليات من أجل بسط نفوذها على الشرق تحت شعار (الدعاية الانجيلية)، وقد نجحت في وقت قصير في نشر اعداد كبيرة من الجمعيات التبشيرية حتى لا تكاد مدينة عثمانية كبيرة تخلو من جمعية تبشيرية أمريكية، وكان نشاط

البعثات التبشيرية بطبعهِ يرتكز على العلم والفن والأدب، فضلاً عن ممارسة النشاط المهني، بحيث شكل اسلوباً تربوياً حاول من خلاله الامريكيون أن يتعايشوا مع الروح الفكرية(٣٢).

وفي سياق آخر مثَّل المرسلون البروتستانت شيئاً غريباً بالنسبة للشرقيين الكاثوليك والارثوذكس، لأنهم كانوا في نظر هؤلاء يشكلون بدعة جديدة تمس معتقداتهم وتزلزل إيمانهم بحقيقة مسيحيتهم وتلغي تراثهم وارتباطهم بأرض المسيح، لهذا كان من العسير على البروتستانت التأثير فيهم ولكن مع ذلك دخل البروتستانت الشرق وانشأوا رعية انجيلية وبنوا الكنائس والمدارس والملاجئ والمستشفيات، ومارسوا نشاطهم على اكثر من صعيد(٣٣).

ويمكن القول أن الإرساليات الامريكية البروتستانتية استخدمت كافة الوسائل من أجل الوصول الى أهدافها، بدءاً من التعليم وحتى الصحافة والكتب والجمعيات مروراً بأعمال التطبيب والنواحي الاجتماعية الاخرى مستفيدة في ذلك من ضعف الادارة تارة وتقاعسها تارةً اخرى، ومحتمية بالامتيازات الاجنبية(٣٤).

لعل من بين أهم الأسباب التي قادت الى اهتمام الإرساليات البروتستانتية ببلاد الشام عموماً وبجبل لبنان خصوصاً، هو التنوع الطائفي ووجود تشابه بين بعض تلك الطوائف عقائدياً مع المسيحية. وعندما سنحت الفرصة لهم بعد خضوع بلاد الشام لإدارة محمد علي باشا، ذهب المبشرون إليها حيث كانت بيروت هي المحطة الأولى لهم في المشرق العربي كله. ومن المميزات العديدة التي كانت تتمتع بها انها كانت ذات موقع متميز بالنسبة للمدن الشامية الاخرى ومنها خرجوا لاستئناف العمل في المدن الاخرى(٣٥).

هكذا حقق المرسلون الامريكيون في جبل لبنان قبل منتصف القرن التاسع عشر الكثير من أهدافهم في حقل التربية والتعليم، فكان لهم بضع مدارس خارجية ومعهد داخلي في بيروت، وآخر في عبية وعدداً من المدارس الخارجية في انحاء جبل لبنان(٣٦).

وكان للمرسلين الامريكيين السبق في انهم لاحظوا تشوق اللبنانيين الى العلم والمعرفة، فحاولوا القيام بمهمتهم التبشيرية عن طريق نشر التعليم بدلاً من العمل الديني المباشر، أما المرسلون الكاثوليك فلم يقوموا بالعمل التربوي قبل العقد الرابع من القرن التاسع عشر، وكاد نشاطهم يقتصر حتى ذلك الحين على التبشير وتعزيز العلاقات بين الكنائس الشرقية وروما(٣٧).

كما برزت الإرساليات البروتستانتية الإنكليزية هي الاخرى، فقد انتشرت في كل من سوريا ولبنان، حيث أسست جمعية (C.M.S) (جمعية التبشير الكنسي، وجمعية لندن) لنشر المسيحية بين اليهود والتي عرفت بجمعية اليهود اللندنية (L.J.S) وكانت هاتان الجمعيتان الوحيدتان اللتان اهتمتا بالناحية الدينية والتعليمية في الأراضي المقدسة(٣٨).

لم يكتف المبشرون الانكليز بما سبق من أعمال بل بدأوا بإرسال المبشرين الى الشرق منذ بداية القرن التاسع عشر[٣٩]، فأسست الإرسالية الانكليزية البروتستانتية مدارس للبنين والبنات في لبنان ومن بينها مدرسة لتخريج المعلمات. فضلاً عن مدارس زحلة وبعلبك وعين زحلتا وحاصبيا، وأسست مركزاً في صيدا. أما الإرسالية الامريكية فهي اول من اقتنعت بفشل سياسة التبشير الديني المباشر ضمن الأديرة المغلقة والمنعزلة، فعمدت الى انشاء المدارس وتأسيس المطابع ونشر الكتب والمجلات[٤٠].

وهكذا وجدت الإرساليات البروتستانتية في لبنان حالة ثقافية لا يحسد عليها، فقبل وصول الارساليات كانت الأمية منتشرة بين السكان والمدارس نادرة، وان وجدت فهي كتاتيب صغيرة ملحقة ببعض الكنائس والمساجد. ثم توجهوا بنشراتهم الى الارثوذكس في كل من اليونان وسوريا وقبرص ومصر، وكاثوليكي إيطاليا وجبل لبنان خاصة، ومسلمي العالم، وبذلك حاولوا خطف ثمار الجهود التي بذلها المرسلون الكاثوليك عبر مئة سنة ويزيد[٤١].

وبعد وصول البعثات البروتستانتية في القرن التاسع عشر زاد النزاع الطائفي بين الكنائس المسيحية في لبنان الخصومات المارونية – اليعقوبية – الكاثوليكية – الارثوذكسية، حيث تمت اضافة المبشرين البروتستانت كعنصر خامس الى حلقة المتخاصمين[٤٢].

وعلى ما يبدو ان البعثات البروتستانتية كان لها الأثر الثقافي الكبير في جبل لبنان، حيث كرست اغلب جهودها وإمكانياتها في انشاء المدارس والجمعيات والمعاهد العلمية والمطابع والمجلات ونشر الكتب التي من خلالها انتشرت الافكار الدينية المسيحية. اعتمدت البعثات البروتستانتية على التعليم في تحقيق أهدافها، إذ أدركت أن قيامها بالتبشير الديني المسيحي على نحو مباشر كان من شأنه إثارة مقاومة عنيفة ضدها من قبل الطوائف المسيحية الاخرى والمسلمين، لذلك اعتمدت على نشر التعليم في جبل لبنان من خلال انشاء المدارس ونشر الكتب لتتمكن من خلال زرع الافكار والعقائد الدينية المسيحية بين أبناء المنطقة. ولاسيما ان سكان منطقة جبل لبنان كانوا بحاجة الى التعليم فأخذوا يقبلون عليه، والذي كان يقدم في صورة انسانية بعيدة عن صورة المبشر الذي يعظ الناس لترك دينهم او مذهبهم.

الخاتمة :

قدمت البعثات التبشيرية البروتستانتية من البلدان الاوربية وابدت نشاطاً كبيراً في مناطق الشرق ولاسيما جبل لبنان ، فقد انطلق فريق منهم للتبشير وانصب نشاطهم في بادئ الامر على دراسة الظروف البيئية والاجتماعية للمنطقة التي يتواجدون فيها ، ولقد شجعت مظاهر الجهل والتخلف البعثات البروتستانتية على ان تركز في ميدان التربية والتعليم واستغلاله للقيام بمهامهم.

فقد اهتمت اهتماماً كبيراً بانشاء دور التعليم الخاصة التي من مهامها اعداد المبشرين الذين خرّجتهم اطلقت عليها مدارس التبشير ، وتقوم هذه المدارس بتدريس مناهج ثقافية خاصة وذلك لاعداد المبشر علمياً وعملياً ليكون قادراً على اداء مهمته بنجاح .

لقد كان للمبشرين اهداف خفية تحت شعار التعليم والتهذيب ورفع لواء الحضارة ، وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على دقة الناشط التبشيري ومدى اهتمامهم بالجوانب الاستراتيجية التي لجأوا من اجلها تحت رعاية حكوماتهم الاوروبية .

الهوامش:

[١] ونعني بهذا النظام هي تلك الامتيازات التي حصل عليها الأوربيون عموماً، والفرنسيون خصوصاً، من الدولة العثمانية، التي كانت في بداية الأمر بمثابة تسهيلات يمنحها السلطان العثماني الى التجار الأجانب، وأهم هذه الامتيازات أمتياز عام ١٥٣٥ الذي وقع بين السلطان العثماني سليمان القانوني وملك فرنسا فرنسوا الأول. واستغل الأوربيون هذه الامتيازات التي من خلالها أرسلوا البعثات التبشيرية الى بلاد المشرق. للمزيد ينظر: هلا سليمان، (من تاريخ الارساليات الاجنبية في طرابلس)، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (١٥٧)، (أيلول – تشرين الأول) ١٩٩٥، ص١٢٦؛ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٦٤٩.

[٢] صالح زهر الدين، التبشير واثره في جبل لبنان ، ط١ ، منشورات رسالة الجهاد ، طرابلس ، ١٩٨٦ ، ص٨.

[٣] جبران مسعود، لبنان والنهضة العربية الحديثة ، ط١ ، بيت الحكمة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص٢٥.

[٤] سحر ماهود محمد، اثر الارساليات التبشيرية الاوروبية في واقع التعليم في جبل لبنان (١٨٠٠–١٨٥٦) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠١٢، ص٥١.

[٥] الملة وجمعها الملل: تعني لفظة الملة في الدولة العثمانية الطوائف الدينية من غير المسلمين، وهي طوائف الروم الارثوذكس، والأرمن، واليهود وغيرها من الطوائف غير المسلمة، وفي مصادر اخرى تعني لفظ طائفة من الناس تذهب مذهباً خاصاً في عقائدها الدينية. للمزيد ينظر: سحر ماهود محمد، المصدر السابق، ص٣٦.

[٦] محمد زعيتر، المصدر السابق، ص١٧٥.

[٧] هلا سليمان، المشروع الماروني في لبنان جذوره وتطوراته ، ط١ ، الوطالة العامة للتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ ، ص١٢٨.

[٨] الشرق الأدنى: ظهر هذا المصطلح أواخر القرن التاسع عشر ليدل على المناطق الواقعة جنوب شرقي أوربا، والتي كانت لا تزال تحت السيطرة العثمانية، وتعني كلمة (أدنى) مناطق الشرق الاكثر قرباً الى أوربا قياساً الى المناطق البعيدة، وسميت شرقاً لكونها لا تزال تحت الحكم العثماني. للمزيد ينظر: شاكر ضيدان، جابر السويدي ، السياسة الامريكية تجاه لبنان (١٩٤٦–١٩٥٨) رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلة الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص٨.

[٩] جوزيف أبو نهرا، المؤتمر الدولي : خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الادنى في زمن التحولات (المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني) ، مركز الشرق المسيحي ، جامعة القديس يوسف ، ٢٤– ٢٦ كانون الثاني ، ٢٠١٣ ، ص١٣–١٤.

[١٠] وظهرت أولى السفن التجارية والحربية الأمريكية والتجار والدبلوماسيين الأمريكيين في الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا منذ أواخر القرن الثامن عشر، وكان مبعث الاهتمام بهذه المنطقة بالدرجة الأولى هو تجارة الأفيون المربحة كثيراً. وكانت تلك التجارة السبب الرئيس في إقامة علاقات دبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية منذ عام ١٨٢٤، فعقدت معاهدة عام ١٨٣٠ بين الطرفين، أي بعد مرور ست سنوات على إقامة تلك العلاقات، وشملت الولايات المتحدة الأمريكية بموجب تلك المعاهدة بنظام الامتيازات العثمانية في المناطق التي اقتصرت على نفوذ الدول الأوربية الكبرى فقط، فمنحتها حق إقامة

قنصليات في المناطق الداخلة ضمن الإمبراطورية العثمانية ، فضلاً عن دخول السفن الأمريكية. شاكر ضيدان، المصدر السابق، ص٨.

(١١) عبد الرزاق عبد الرزاق، عيسى ، التنصير الامريكي في بلاد الشام (١٨٣٤-١٩١٤) ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ٢٠٠٥ ، ص١١١.

(١٢) المصدر نفسه، ص١١٤-١١٥.

(١٣) عبد الرزاق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص٧٨-٧٩.

(١٤) هلا سلمان، المصدر السابق، ص١٣٢؛ بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية، ط١، ترجمة: يسر جابر ومنذر جابر، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٨، ص٣٦٢.

(١٥) سحر ماهود محمد، المصدر السابق، ص٩٧.

(١٦) شهد عام ١٨٤٠ اضطرابات في الدولة العثمانية لخروج محمد علي باشا والي مصر من الدولة العثمانية في بلاد الشام، ونتيجة لذلك قامت الدول الأوربية الخمس (فرنسا، النمسا، روسيا، بريطانيا، بروسيا) بالتدخل لدى الدولة العثمانية ومنعها من عقد أي اتفاق مع محمد علي عملاً على زيادة الخلاف بين الدولة العثمانية ومصر. ثم حسمت الدول الأوربية الأمر من خلال عقدها معاهدة لندن في العام ذاته، وتعهدت الدول الأوربية فيها بمساعدة السلطان العثماني في اخضاع محمد علي اذا ما رفض الشروط التي وضعوها له. للمزيد ينظر: هدى علي بلال، (الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠-١٨٤٠، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، مج١٠، العدد٤، ص٣٥٣-٣٥٤.

(١٧) سحر ماهود محمد، المصدر السابق، ص٩٦.

(١٨) كمال اليازجي، الشيخ ابراهيم الحوراني في فجر النهضة الحديثة ١٨٤٢-١٩١٦، معهد الدراسات العربية العالمية، محاضرات د. كمال اليازجي على طلبة الدراسات الادبية واللغوية، ١٩٦٠-١٩٦١، ص٢٩.

(١٩) انسحب الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من بلاد الشام عام ١٨٤٠ تزامناً مع سقوط حكم بشير الثاني، وبذلك دخلت الامارة الشهابية في دور جديد بإسنادها الى الأمير بشير الثالث في العام نفسه، وقد اساء بشير الثالث معاملة الدروز وتمادى في اضطهادهم مما دفعهم الى التطلع الى الدولة العثمانية باعترافهم بأنهم مسلمون، وطالبوا بأن يحل مسلم شهابي محل الأمير الحاكم، وإزاء تقاعس الدولة العثمانية عن التدخل اعتمد الدروز على أنفسهم، وحاصرت قواتهم دير القمر مفتتحة الحرب الأهلية التي لم تلبث أن انتشرت في انحاء بلاد الشام، فبثت فرنسا ببعض خطتها الحربية الى لبنان فأبتهج الموارنة، الذين وزعت القنصلية الفرنسية السلام عليهم، مما أدى الى ازدياد التقارب بين الدروز والبريطانيين، هكذا صار هناك محور درزي بريطاني، ومحور ماروني فرنسي. للمزيد ينظر: محمود صالح منسي، الشرق العربي المعاصر، القسم الأول، الهلال الخصيب، ١٩٩٠، ص٢٢١؛ هدى علي بلال، (الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ١٨٣٠-١٨٤٠)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج١٠، العدد٤، ص٣٥٣-٣٤٥.

(٢٠) كمال سليمان الصليبي، تاريخ لبنان الحديث ، ط٤ ، دار النهار ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨، ص١٧٤-١٧٥.

(٢١) كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٢٢) عبد الرزاق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص١١٦-١١٧.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٢٤) كمال سليمان الصليبي، المصدر السابق، ص١٧٦؛ عبد الرزاق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص١١٧.

(٢٥) كمال اليازجي، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢٦) كمال علي منذر، نظام الادارة في جبل لبنان في اثناء مرحلة القائممقاميتين (١٨٤٠-١٨٦١) ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، (د. ت) ، ص١٥٠؛ محمد عبد الله وإبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث المطبعة الاهلية للنشر ، بيروت، (د. ت) ، ص١٥٠.

(٢٧) كمال علي منذر، المصدر السابق، ص١٢١.

(٢٨) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(٢٩) عبد الرزاق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص١٣.

(٣٠) الجمعية السورية: تألفت عام ١٨٥٨ على غرار الجمعيات السابقة في بلاد الشام، إلا انها نالت اعتراف الحكومة العثمانية بها، وكان جميع اعضاؤها من العرب المسلمين والمسيحيين، ومن أبرز اعضاؤها إبراهيم اليازجي، ومحمد ارسلان، وحسين بيهم وغيرهم. للمزيد ينظر: محمد عبد الله وإبراهيم ياسين، المصدر نفسه ، ص١٥٠.

(٣١) كمال علي منذر، المصدر السابق، ص١٥٠؛ محمد عبد الله وإبراهيم ياسين، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣٢) شاكر ضيدان، المصدر السابق، ص٨.

(٣٣) هلا سليمان، النزاعات الطائفية في تاريخ لبنان الحديث ، بيردار الاهلية ، ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ ، ص١٣٢.

(٣٤) عبد الرزاق عبد الرزاق، المصدر السابق، ص٦٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٦٩–٧٢.

(٣٦) كمال سليمان، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣٧) المصدر نفسه، ص١٧٢–١٧٣.

(٣٨) سحر ماهود محمد، المصدر السابق، ص٦٤.

(٣٩) فتمركزوا أولاً في بيروت عام ١٨٢٣، ثم انتشروا في ارجاء لبنان وسوريا وفلسطين، لكنهم لاقوا مواجهة قوية من الكنائس الكاثوليكية والارثوذكس على السواء وبخاصة من الاكليروس الماروني لذلك وجهوا اهتمامهم نحو الدروز ودعموهم في صراعهم على حكم منطقة جبل لبنان مع الموارنة المدعومين من فرنسا. للمزيد ينظر: جوزيف أبو نهرا، المصدر السابق، ص٢٤.

(٤٠) عبد الغني عماد، (التعليم الديني في لبنان الإشكاليات والمحددات)، مجلة الحوار، بيروت، العدد (١٧)، ٢٦ أيلول ٢٠١٢، ص٣..

(٤١) هلا سليمان، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٤٢) هاني فارس، المصدر السابق، ص١٣٣.